

مستويات التعبير الوجداني في اللغة العربية دراسة في نموذج مختار من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري

الباحثة: هند علي محمد الغامدي
ماجستير لغة عربية
تخصص اللغويات
جامعة الملك عبد العزيز بجدة

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث مستويات اللغة (الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية والتركيبية) في الجانب الوجداني منها؛ من خلال أشكال التعبير الوجداني المتنوعة بتنوع مصادرها اللغوية والجمالية والإبداعية والنفسية والاجتماعية وغيرها، والمُدرجة تحت مسمى اللغة الوجدانية، ويبحث في حقيقة وجود كيان كامل لهذا الجانب من اللغة، ويختبر ذلك من خلال تطبيقه على حديث نبوي مختار من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري؛ متخذاً إياه -كأفصح وأبلغ كلام بشري- أنموذجاً لدعم فكرة حضور الجانب الوجداني في مستويات اللغة جميعها، ومستنداً بوجوده في أكثر المجالات موضوعية وحياداً على وجوده في سائر المجالات الإنسانية الأخرى، وعلى أهميته في التواصل الإنساني بشكلٍ عام، والتعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر والانفعالات، والتأثير فيها، والإقناع بها، ودوره في الإبلاغ والتمكين وتحويل الأقوال والأفكار إلى منجز فعلي؛ ليصل البحث في ختامه إلى تقرير أهمية اللغة الوجدانية وحقيقة حضورها في المستويات اللغوية جميعها، وفي ألوان الكلام البشري في جميع المجالات الإنسانية، وعلى جميع الأصعدة المحلية والعربية والعالمية؛ وإلى الدعوة إلى إجراء الدراسات في هذا الجانب من اللغة واستكشاف أسرارها وكنوزه، وتسلية الضوء على كيفية استثماره فيما يخدم اللغة العربية ككل ويعلي من شأنها بين اللغات.

المقدمة:

تتعدّد وتتنوع وظائف اللغة، وإن كان يمكن القول بأنّ الوظيفة الأساسية لها هي التعبير عما في أنفس متكلميها⁽¹⁾، علاوة على وظائفها الأخرى التي استفاض علماء اللغة في تحديدها، وتتضافر مستويات اللغة (الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية والتركيبية) في تحقيق تلك الوظائف، ويعدّ الجانب الوجداني أحد جوانب اللغة التي تتحقق به وظائفها وغاياتها الكبرى في التعبير والتأثير والتواصل والإفهام والإقناع والتمكين؛ ولذلك فاللغة الوجدانية⁽²⁾ بأشكالها التعبيرية المتنوعة المستمدّة من مصادر مختلفة؛ لغوية، وجمالية إبداعية، ونفسية واجتماعية، وغيرها، حاضرة في كل مستويات اللغة السابقة، ويقف هذا البحث على ذلك الحضور مختبراً وجوده وأهميته وتأثيره ودوره في التواصل والتعبير والتأثير والتعليم والإفهام والإقناع والتبليغ والتمكين، فيعطي لمحة نظرية سريعة على تعريف اللغة الوجدانية ومصادرها وأشكالها، وبلاغة وفصاحة الحديث النبوي التي تؤهله ليكون أنموذجاً يقاس عليه ويختبر من خلاله أهمية الجانب الوجداني من اللغة وحضوره في مستويات اللغة جميعها، وتضافرها في تحقيق الوظائف المرجوة منه، كما وتمّ تدعيم ذلك الأمر باستعراض بعض أقوال علماء اللغة التي وردت في وصف كمال البيان النبوي والبلاغة النبوية، ثمّ اختبر ذلك عملياً من خلال التحليل اللغوي وفق مستويات اللغة لحديث نبوي شريف مختار من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري، وانتهى البحث إلى خاتمة تضم بعض النتائج والتوصيات.

أولاً: الجزء النظري:

اللغة الوجدانية: تعريفها ومصادرها وأشكالها:

يُعرّف هذا البحث اللغة الوجدانية بأنها اللغة التي تعبر عن الوجدان والعواطف والمشاعر والانفعالات الإنسانية، وتخطبها؛ باستعمال أشكال تعبيرية متنوعة لا حصر لها؛ منطوقة ومكتوبة، لفظية وغير لفظية؛ مستمدة من جميع مستويات اللغة ومصادرها اللغوية والإبداعية والجمالية والنفسية والاجتماعية، محدثة تأثيراً ما مقصوداً أو غير مقصود في السلوك الإنساني.

وأما أشكالها فتتنوع بتنوع المصادر التي تُستقى منها؛ فمنها المصادر اللغوية: الصوتية؛ كاختيار أصوات معيّنة مفخمة أو مرققة مستعلية أو مطبقة وغير ذلك من صفات، أو ترتيبها بطريقة معينة، أو استعمال النبر والتنغيم، والصرفية؛ كاختيار صيغ دون أخرى لمعانٍ معيّنة؛ كصيغ المبالغة وصيغة التفاعل والفعلة وغيرها، والنحوية؛ كاستعمال تراكيب معينة سواءً أكانت تلك التي اتفق النحاة على كونها تراكيب انفعالية؛ كأسلوب التعجب، والمدح والذم، والتحذير وغيرها، أو غيرها من أبواب النحو كالنعت والبدل واستعمال بعض الضمائر في بعض المقامات كضمير نحن في مواقف التفخيم والفخر والإعجاب بالذات، والمعجمية والدلالية؛ كاستعمال كلمات دون أخرى يمكن أن تؤدي المعنى لسبب عاطفي أو انفعالي، وكاستعمال كلمات لها معانٍ هامشية وإيحائية، ومنها المصادر الإبداعية والجمالية؛ كابتكار استعمالات جديدة للكلمات أو تراكيب جديدة أو صور جديدة أو إحياء كلمات مندثرة في استعمالات مدهشة، أو استثمار التقديم والتأخير في التراكيب والحذف والذكر والإيجاز في أغراض تأثيرية وجدانية، ومنها المصادر النفسية والاجتماعية؛ كاستعمال لغة خاصة بشخصية مشهورة وترديد عباراتها بوعي أو بدون وعي، أو التعبير بكلمات أو عبارات فيها خلط أو خطأ أو غير متوقّعة في مواقف الانفعال الشديد حزناً أو فرحاً أو خوفاً أو غضباً، أو اللجوء إلى الإتيان والمزاوجة والتعبيرات الاصطلاحية والأقوال المأثورة والحكم والأمثال استعاضة بها عن الكلام العادي في التعبير عن الأفكار والوجدان ووصف المواقف أو العواطف والمشاعر، أو استعمال لغة خاصة لكسب الجماهير؛ لأغراض دينية أو اقتصادية أو إعلامية أو سياسية أو غيرها، ومنها حركات الجسد الإنساني وإشاراته التي قد يكتفى بها عن اللغة الملفوظة أو قد تكون مصاحبة لها، ومنها ما يمكن أن يُسمّى مصاحبات اللغة سواءً أكانت تلك الحركات والإشارات أم التعبيرات الصوتية المرافقة والرسوم والأشكال التوضيحية وغيرها ممّا يمكن أن يدخل تحت هذا المُسمّى.

الحديث النبوي الشريف ومستويات التعبير الوجداني في اللغة العربية:

سيحاول هذا البحث الوقوف على حضور التعبير الوجداني في كل مستوى من مستويات اللغة من خلال الحديث النبوي الشريف الذي اتخذهُ نموذجاً لذلك الحضور؛ لكونه يحتلُّ المستوى الثاني في الفصاحة والبلاغة بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ، وبذلك فهو الأول على مستوى الكلام البشري، وقد بلغ كمال البيان البشري كما وصفه عبد الرحمن بو درع، وذكر أن البيان النبوي هو البيان الذي يعتمد على كشف المعنى وإيضاحه حتى يبلغ النفوس في أسهل الصور وأوضحها، ويشمل ذلك شكله ومعناه، ويذكر أنّ معاني الحديث الشريف معانٍ عقلية

صحيحة، ويورد ما ذكره عبد القاهر الجرجاني عن المعاني العقلية، أنّ أعظم المعاني العقلية تلك التي يكون مجراها مجرى الأدلة التي يستنبطها العقلاء، والفوائد التي تثيرها الحكماء، وأكثرها يكون منتزعا من أحاديث النبي وكلام الصحابة ومنقولا من آثار السلف، الذين اتصفوا بالصدق وقصد الحق...، وهذا النوع هو الذي يقابل المعاني التخيلية التي لا يمكن أن يقال إنها صدق، وإن ما أثبتته ثابت، وما نفتته منفي، ولذا فالنوع الأول هو المقدم، وهو الذي يقضي العقل بصحته، وبه جاءت أوامر الله عز وجل، وعليه جرت الأحكام الشرعية والسنن النبوية، واستقام لأهل الدين دينهم، وينبه إلى أنّ الاستعارة لا تدخل ضمن القسم التخيلي عند من يظن ذلك؛ لأن المقصود منها ليس إثبات معنى اللفظة المستعارة، وإنما إثبات شبه هناك، ولا أدل على ذلك من كثرة استعمالها في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكونها سببا للعلم بما لولاها لم يُعلم⁽³⁾.

ولقد حاول الكتاب قديما وحديثا وصف الكلام النبوي الوصف الذي يليق به، والوقوف على جوانب الفصاحة والبلاغة والإبداع والتفوق فيه، ومنهم الجاحظ الذي لم يكف يخلو كتاب أو مقال في وصف البلاغة النبوية من الاستشهاد بوصفه الذي حاول فيه الإحاطة بجوانب البلاغة والإبلاغ في حديث رسول الله ﷺ، ومما جاء فيه قوله: " ... فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشُدَّ بالتأييد، ويُسَّر بالتوفيق...، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وسلم... " (4).

ويظهر من كلام الجاحظ السابق في وصف كلام النبي صلى الله عليه وسلم المقطع من كلام طويل أورده في البيان والتبيين أنه قد أوجز تحليلاً للحديث النبوي الشريف وفق مستويات اللغة التي يستعرض البحث من خلالها في هذا الفصل أشكال اللغة الوجدانية في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فقد أتى على لفظه ومعناه، ومخرجه وموقعه ووزنه، وأسلوبه وطريقته، ووضوح تراكيبه ودقة دلالتها، وهذا مما لاشك فيه، فقد اختاره الله -عز وجل- ليكون صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين ومبلغا رسالته -سبحانه وتعالى- للعالمين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأمكنهم وأزمانهم وإلى يوم الدين، فأعدّه إعدادا خاصا يُمكنه من أداء تلك الرسالة الخاتمة، فهيا له أسباب الفصاحة والبلاغة والبيان في قوم البلاغة والفصاحة، وأطلعته من الغيب على مالم يطلع عليه غيره، فكانت له تلك المعاني العظام في أفصح الأساليب البشرية وأبلغها، وقد أصاب كبد الحقيقة

ناصر إبراهيم حين ذكر أنّ الحديث النبوي الشريف جدير بأن يكون أولى القبلتين لمن أراد أن يدرس بلاغة لغة البشر، وثانيها لمن أراد دراسة البلاغة عموماً (5).

ويذكر عباس محمود العقاد أنّ الإبلاغ هو "السمة المشتركة في أفانين الكلام النبوي، ويشبه تلك السمة بالخط المستقيم عند أهل الهندسة، ويُعرّفها بأنّها:" أقرب موصل بين نقطتين"، وليس كلامه فقط، بل كانت حياة النبي محمد ﷺ كلها بفعالها وقولها وحركتها وسكونها حياة تبليغ وبلاغ، ويستدل على ذلك بعبارة الرسول ﷺ: "الهم هل بلغت"، ويصفها بأنّها لازمة عظيمة الدلالة على ذلك، ويذكر أنّ صدق تلك الدلالة تظهر في كلامه ﷺ الذي حفظه الله عبر القرون، من خلال أسلوبه الذي تسيّد فيه سمة الإبلاغ على كلّ سمة، ومن خلال أفانين كلامه جميعها، بما فيها القصة أو ما جرى مجراها، ورسائله إلى الأمراء والولاة، ووصاياه، وأوامره ونواهيته، وأدعيته، ومعاهداته ومواثيقه، حيث اتسمت كلها بسمة الإبلاغ أو البلاغ المبين، فلا كلفة ولا إغراب ولا غموض، ولا حشو ولا زيادة ولا تكرار إلا لمنع التأويل وعلى سبيل التأكيد والتحقيق، أو على سبيل الإعادة الهادفة إلى أن يعقل السامعون كلامه وما تضمنه من محتوى، ولا زخرف ولا حلية ولا حيلة في ابتغاء التأثير وإيما هو الإبلاغ، فكلُّ كلمة بمقدار، وكل حلية من حلى اللفظ والمعنى وكل تجميل للكلام إنما هو مقتضيات الكلام التي يستوجبها الإبلاغ (6).

ويرى أن أقوى الإبلاغ في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار، بل واجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات، وقد يبسطها الشارحون في مجلدات (7).

وممّا لاشكّ فيه أنّ الهدف الأساسي للحديث النبوي الشريف هو الإبلاغ، ومعه التعليم الذي يفرضه إلى التمكين الذي لا يتأتى إلا بعد مخالطة الفكرة للوجدان، ولا بد من التأثير والإقناع في تحقيق تلك الأهداف، وقد رأى عيد بلبع استبدال التمكين بالإقناع، باعتبار الإقناع من أدوات الخطاب الحجاجي، والتأثير من أدوات الخطاب الشعري، وهو كما يرى لا ينطبق على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يُصنّفه كخطاب تعليمي، ويرى أن اشتراكه مع الخطاب الحجاجي وغيره في الأدوات والوسائل إنّما هو بغرض التمكين (8)، وترى الدراسة بأنّه لا بد من التأثير والإقناع وصولاً إلى التمكين، بمعنى مخاطبة الإنسان بالحجج والأدوات التي تقنعه وتطمئن قلبه، وتؤثر فيه التأثير المقصود، فالتمكين كما يراه البحث هو تحوّل اللغة إلى سلوك وفعل مُنجز، ففي الوقت الذي تتم فيه ترجمة الأقوال إلى أفعال، يمكن الحكم حينها بأنّه تمّ تمكين الفكرة أو المعنى من نفوس السامعين أو المتلقين بشكل عام.

ويذكر ناصر إبراهيم أنَّ للبلاغة النبويَّة التي حملت على عاتقها ذلك الإبلاغ أسبابًا توفيقية، وأسبابًا توفيقية من الله سبحانه وتعالى، هيأها الله سبحانه وتعالى لرسوله ليمكنه من تبليغ الرسالة للعالمين كافة، إضافة إلى أنَّها ستخاطب فصحاء العرب وبلغاءهم، ممن كانت معجزة الله لهم في بلاغتهم، فاصطفاه بداية، وهيأ له النشأة التي تحقِّق له ذلك، وعلمه وأطلعه على الغيبات كالجنَّة ونعيمها والنَّار وجحيمها، وأهوال القبور والحشر والنشر وغيرها من المعاني الغيبية التي لم يسبق لعقول المخاطبين إدراكها، ممَّا عقله صلى الله عليه وسلم وانفعلت بها نفسه، واحتاج إلى تهيئة لغوية خاصة تمكِّنه من تبليغها بأدقِّ الأساليب وأبلغها، وقد كان له ذلك من ربِّه سبحانه وتعالى (9).

ويلفت ناصر إبراهيم الانتباه إلى خصوصية البيان النبوي، وأنَّ التعامل مع النَّص النبوي ودراسته يقتضي النَّظر إليه من جانبيين، هما:
الأول: المصدر أو المنبع.
الثاني: المصبَّ أو الغاية والغرض.

لأنَّ مصدر المعنى في النَّص النبوي يتخطى حدود المعقول البشري إلى ما وراءه، ويخترق حجب الغيب، ويتخطى حدود الزَّمان والمكان، لأنَّ منبعه وحى الله وعلمه الواسع، وقد هيأ الله سبحانه وتعالى رسوله لتبليغها من جهتين: من ناحية تمكينه من إدراك المعاني وتخزينها إلى أن يؤمر بتبليغها، ومن ناحية القدرة على التعبير عنها وإيصالها في أتمِّ صورة وأوضح شكل، وأمَّا المصب والغاية فقد مكَّنه الله من تحقيقها من جهتين، وهما: المطابقة بين أحوال المخاطبين، والألوان البلاغية المستخدمة في خطابهم، والتي تمكنه من تحقيق مهمته في التبليغ، حيث يخاطب صلى الله عليه وسلم العالمين إنسًا وجنًّا عربًا وعجمًا على اختلاف بيناتهم وأزمانهم، والجهة الثانية تختص بالمعاني المراد تبليغها والتي تتخطى حدود المعقول البشري والواقع والخيال إلى ما وراءها من الغيب المنتظر ممَّا علمه الله، والتي يفارق مدلولها مدلول غيرها من كلام البشر، والتي تحتاج لأدوات لغوية مناسبة تمكنه من تبليغها وقد أمكنه الله منها، فوازن بين ما يتطلبه حال المخاطبين والمعنى الملقى إليهم ولغة التبليغ (10).

وبعد، فيمكن القول إنَّ لغة الحديث الشريف التي وصلت إلى قمة الفصاحة والبلاغة والبيان بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ هي أداة الإبلاغ والتعليم والتأثير والإقناع والتمكين، والجانب الوجداني بأشكاله التعبيرية المتنوعة جزء منها ومن ذلك البيان وتلك الفصاحة والبلاغة النبوية، التي أخذت بمجامع الأبواب وراعت العقول والقلوب ببيانها الباهر وإبلاغها الأسر، وهذه وقفة مع هذا الجانب على صعيد مستويات اللغة الصوتي والصرفي والنحوي

والمعجمي في أحد الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في صحيح البخاري، ولكن قبل البدء لابد من الإشارة إلى أن الحديث عن كل مستوى من مستويات اللغة بمفرده، سواءً أكان المستوى الصوتي أم المستوى الصرفي أم المستوى النحوي والتركيبية أم المستوى المعجمي والدلالي، لا يعني انفصاله عن بقية مستويات اللغة، إذ لا يمكن تصوّر أيّ دورٍ أو تأثيرٍ لأحدها يؤديه بمعزل عن المستويات الأخرى، فالصوت مثلاً لا يمكن أن يؤدي دوره الانفعالي والتأثيري بمفرده، بل بالتضافر مع عناصر التعبير الأخرى؛ سواءً أكان بالتضافر مع بقية العناصر داخل المستوى الصوتي نفسه، أم كان بالتداعي للمستويات الأخرى، فكما يذكر عبد الحميد هندراوي عن ريتشاردز أن تأثير اللفظ من حيث هو صوت لا يمكن فصله عن تأثيراته الأخرى التي تتم في الوقت نفسه، حيث يرى أنه لا توجد مقاطع وحروف متحركة تتصف بطبيعتها بالفرح أو الحزن أو غيرها من تأثيرات وانفعالات، وإنما تختلف الطريقة التي يؤثر بها الصوت في النفوس تبعاً للانفعال الذي يكون موجوداً في ذلك الوقت، وتبعاً للدلول، وتبعاً للظروف التي يدخل فيها الصوت، ولا يوجد ميزات خاصة للصوت بمفرده، ومع ذلك فالصوت مهم إلى حدّ أنه يعدّ مفتاح التأثيرات في معظم الحالات (11).

فالتأثير الصوتي قد يكون ناجماً من التكرار الصوتي لبعض الحروف أو الحركات أو بعض المقاطع أو الكلمات والإيقاع النّاجم عنه، أو من مناسبة بعض الأصوات لمعانيها ودلالاتها عليها أو إيحاءها بها ضمن النسيج الكلي للنص، وقد يأتي من النبر والتنغيم الذي قد يصاحب التراكيب النحويّة والأساليب الإنشائيّة الطليبية وغير الطليبية، أو الخبرة التي تؤدي معاني مختلفة تظهر من سياق الكلام ويكون للتنغيم دوره في إيصالها وتوضيحها، أو المواقف التأثيرية السياقية التي تستدعي ذلك التنغيم، أو من خلال الإيقاع الذي يحدثه توازن العبارات وانسجامها، أو يحدثه استعمال الفنون البلاغية كالجناس والطباق والسجع، أو العادات الكلامية كالإتياع والمزاوجة، أو من ترتيب الألفاظ والجمل بطريقة متناسبة مع المعاني التي تحملها، وقد تحسّهُ النفس دون القدرة على تحديد كنهه، أو تفسير سببه، وكذلك لا يمكن أن تنفرد التراكيب النحوية، أو الكلمات بمعانيها المعجمية أو الهامشية والتعبيرات اللغوية بشكل عام، أو الصيغ والبنى الصرفية، وغيرها من العناصر اللغوية التي تنتمي إلى أي مستوى من مستويات اللغة،- بأداء الدور الوجداني أو التأثيري المنوط بها منفردة عن بقية العناصر والمستويات اللغوية الأخرى، كما لابد من التنويه إلى أنها متداخلة في عملية التحليل اللغوي إلى الحدّ الذي يجعل الفصل بينها في عملية التحليل غير ممكن إلى حدّ كبير.

ثانياً: الجزء التطبيقي:



"حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ: قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عِيَّاشٍ-
وَأَسْمُهُ نُعْمَانُ،- عَنْ حَوْلَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ
رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بَغَيْرِ حَقِّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (12).

المستوى الصوتي:

من الأصوات البارزة في الحديث والتي تشدُّ الأسماع وتلفت الانتباه وتستثير المشاعر والانفعالات وتؤثر في العاطفة، فتسهم في إثارة مشاعر الكره والتفوق من هذا الفعل الجائر الذي نهى عنه الإسلام، وهو: (التخوُّص في مال الله بغير حق)، والخوف والفرح من عقوبة هذا الفعل الظالم،- صوت الضاد في جملة "يتخوِّضون" التي تُشكِّل نقطة الارتكاز في الحديث، وأول ما يلفت الانتباه ويقرع الأسماع، وهو الصوت الأساسي الذي أعطى الفعل قيمته السلبية، والضاد من الأصوات القويَّة المفخِّمة تفخيمًا كليًّا، وهذا التفخيم بغض النظر عن قيمته الدلالية في التفريق بين المعاني، فإنَّ له قيمة صوتية في التعبير عن المعاني المفخِّمة، وقد تصافر معه صوت الخاء في الإيحاء بقوة الكلمة الدالة على قوة الفعل، والحاء من الحروف المفخِّمة تفخيمًا جزئيًّا أو بينيًّا (بين بين)، وهي (القاف والحاء والغين)، بمعنى أنَّ تفخيمها أقلُّ درجة من تفخيم الضاد والصاد والطاء والظاء، إضافة إلى أنَّ تفخيمها يظهر عندما يتلوها ضم أو فتح (قصير أو طويل)، ويختفي أو يكاد إذا تلاها كسر، فحينئذٍ تكون إلى الترقيق أقرب (13)، وهي في هذه الكلمة مفخِّمة حيث تلاها حرف مشدَّد؛ سكون ففتح، وهي حرف قوي وغلبيظ كما وصفه ابن جني وعلل اختيار العرب الخاء للنضح وهو الأقوى بغلظته، واختيار هم الحاء للنضح وهو الأضعف برقته (14)، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ (15)، ووجود حرفين بهذه القوة والفخامة في الكلمة يتناسب تمامًا مع خطورة الفعل وفداحة الجرم وعظم الذنب، وهما يُصنَّفان ضمن أصوات الاستعلاء، حيث النطق بهما في حال التَّفخيم تعلق فيه مؤخرة اللسان نحو الجزء الخلفي من الحنك الأعلى (16)، ولعلَّ هذا يرمز إلى ما في الفعل من استعلاء على الحق وعلى أوامر الله ورسوله والإصرار على ارتكاب المعصية والخوض في مال الله بغير حق وفعلها مرارًا وتكرارًا كما أوحى بذلك الصيغة والتَّضعيف في حرف الواو الذي أعطى المعنى زيادة وقوة، وما يعبر عنه التَّضعيف من تأكيد ومبالغة في المعنى وإصرار واستمرار فالخوض بتعمد وتكرار، واللفظ هنا مكوَّن من خمسة مقاطع صوتية شاركت في الدلالة الصوتية للكلمة والإيحاء الصوتي بمعناها، وهي: ي، ت، حو، ضو، ن، وقد تراوحت بين القصر (ي، ت، ن)، والطول (حو، ضو)، وزيادة عدد المقاطع في الكلمة يؤدي كما يذكر عكاشة إلى زيادة في المعنى، كما أنَّ طول المقطع أو قصره



يؤثران في المعنى، ويؤدي طول بعض المقاطع إلى التأثير في المتلقي، وذلك يظهر في أصوات اللين (الألف والواو والياء)، لأنها أوضح في السمع وأكثر أثرًا في النفس من الأصوات الساكنة، كما قد يؤدي طول المقطع إلى المبالغة في المعنى، ولاسيما عند إشباع حروف المدّ، وكذلك التحريك والتسكين والتشديد والتخفيف كلها أمور لها أهميتها في التعبير والدلالة على المقصود بديقة⁽¹⁷⁾، وذلك في صيغة صرفية معبّرة عن معنى المبالغة والزيادة والتعمد، وهي صيغة (تفعل) وهي مزيدة الثلاثي (فعل) بالتاء والتضعيف، ورأى عز الدين السيد أنّ جرس اللفظ في كلمة "يتخوضون" يصوّر معاني الجراءة والمبالغة واللامبالاة⁽¹⁸⁾.

إضافة إلى ما أحدثه تكرار حرف النون ولاسيما حين يكون مشدّدًا والتنوين (إنّ، رجلاً، يتخوضون، حقّ، النَّارُ) من إيقاع صوتي مهيب في الحديث، وتعبير عن انفعال الغضب من فعلهم، وما أوحى به من القطع والحزم والتأكيد والحزم بالنتيجة المؤلمة والمستحقّة لجرمهم.

المستوى الصرفي:

ذكر ابن قتيبة أنّ "تفعلت" تأتي بمعنى إدخالك نفسك في أمرٍ حتى تضاف إليه أو تصير من أهله نحو: "تشجعتُ تجلدتُ، تحلمتُ..."، وكذلك تأتي للشيء تأخذ منه الشيء بعد الشيء، نحو: "تسمعتُ، تعهدتُ تحسستُ، تجسستُ..." ولا يكون عمل وقت واحد بل عمل شيء بعد شيء في مهلة⁽¹⁹⁾، وعليه فيمكن أن تكون تخوّض في الحديث بمعنى أنهم يأخذون من مال الله مرة بعد مرّة حتى صاروا متلبسين بهذا الفعل المنهي عنه، وصاروا ممّن أضيفوا إليه ووصفوا به فصاروا ذوي خوض في مال الله بغير حق، فالفعل تخوّض على وزن "تفعل" مزيد الثلاثي خوّض بالتاء والتضعيف، وكلّ زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى كما هو معروف، وعليه فقيام أولئك الرّجال بفعل الخوض فيه مبالغة واجتهاد وتكلف، وأضاف إليه زمن الفعل صفة الاستمرار أيضًا، والحق أن اختيار هذه الصيغة-صيغة تفعل كما سبق-ثمّ إيرادها في الزّمن المضارع، وإضافتها إلى ضمير جماعة الذكور العائد على "رجالًا" الجمع النكرة الموصوفة المسبوقه بإنّ، لأمر في البلاغة عجيب، وإن كان ليس كذلك على البلاغة المحمّدية التي وصف الله سبحانه وتعالى صاحبها عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾⁽²⁰⁾، فالرّسول ﷺ اختار "يتخوضون" مع ما في الصيغة من قوة تناسب قوة الجرم، ولم يقل: خاضوا، أو يخوضون، أو خائضين، أو يورد الخبر في صيغة المفرد مثلًا، أو غير ذلك من اختيارات لن تكون أبلغ في الإبلاغ في هذا المقام من الفعل "يتخوضون" بصيغته، وزمنه، وأصواته، وسوابقه، ولواحقه، وموقعه، ومعناه، وإيحاءاته.

المستوى النحوي والتركيبي:

بدأ الحديث بأسلوب خبري مكوّن من الجملة الاسمية إنَّ واسمها "رجالاً" وخبرها الجملة الاسميّة "لهم النّار"، وقد دخلت الفاء في خبرها جوازاً فأوجب تأخيرها، وقد اشترط ابن مالك دلالة المبتدأ على العموم، والاستقبال، وأن يكون الناسخ إنَّ أو أنّ أو لكنَّ؛ لجواز دخول الفاء، مع كون المبتدأ في إحدى حالاته موصوفاً بفعل لا حرف شرط معه (21)، واسم إنَّ هنا نكرة موصوفة بفعل مضارع دال على الحال والاستقبال، وهو "يتخوّضون"، والكلام متضمن معنى الشرط، خالٍ من أداة شرط، والخبر شبيه بجواب الشرط، لأنّه نتيجة لكلام قبله، مستقبل الزمن، وفي صدر هذا الكلام مبتدأ موصوف يدل على العموم والإبهام (22)، فربطت الفاء بين المبتدأ أو اسم إنَّ وبين الخبر، كما تربط بين فعل الشرط وجوابه، فالأسلوب ليس أسلوب شرط، ولكن فيه معنى الشرط، ولذا جاءت الفاء في جملة الخبر التي قدّم فيها الخبر الجار والمجرور على المبتدأ "النار"، والتي تبيّن جزاء الفعل الذي ذكر في الجزء الأول من الحديث، وفي هذا ترهيبٌ لهم وتخصيصٌ لهم بالعقاب المذكور والجزاء على فعلهم في الدنيا والذي هو النّار في الآخرة، واللام في "لهم" تفيد الاختصاص والاستحقاق (23)؛ فالنار مختصة بهم مُستحقّة لهم، وتقديمها مع مجرورها وهو الخبر "لهم"، يجعلهم ينتظرون ما بعدها، وهذا ما ينصرف إليه الذّهن عادة عقب العمل، فلكلّ عمل جزاء، والكلام عن الرجال وفعلهم، والانتظار لجزائهم على الفعل الذي ذكره الرّسول في الجزء الأول من الحديث، وهو خبر إنَّ الذي ستكتمل به الجملة "فلهم النار"، وقد يوحي استعمال اللام مضافاً إلى الضمير ومقدّماً في خارج السّياق بأنّ الكلام بعدها تبشير، ولكنّ سياق الحديث حسم الأمر بذكر الجرم المقترف في بداية الحديث، فلا يذهب الظنّ إلا إلى العقاب عليه، وهو تهديدٌ وتخويفٌ ووعيدٌ لهم، فالنّار لهم يوم القيامة مقابل ما امتلكوا من مال الله وتصرفوا فيه بغير حق في الدنّيا، وهذا وعيد عام وتهديد لكلّ من تسوّل له نفسه ذلك الفعل الأثم، وتبليغ مؤكّد للخائضين بالجزاء الذي ينتظرهم يوم القيامة.

وكما هو واضح لم يستعمل الرّسول أمراً أو نهياً صريحاً في الحديث بأيّ صيغة من صيغهما، وإنّما الأمر بالترك لمن هم خائضون بالفعل، والحذر والتجنب لكلّ المسلمين، والنهي عن الفعل وعن مقارفته، -مستفاداً من الوعيد الذي في الحديث لمن يتخوضون في مال الله بغير حقّ، حيث أتى الرّسول صلى الله عليه وسلّم بالفعل وعقوبته في صورة خبريّة- كما سبق الذّكر- مكوّنة من إنَّ المؤكّدة واسمها نكرة (رجالاً) موصوفاً بالجملة (يتخوضون في مال الله) مديلاً بشبه الجملة التي في موضع الحال (بغير حق) التي تؤكّد وتوضّح فداحة الجرم



هنا، مع ملاحظة تنكير المضاف إليه (حق) للتدليل على عموم نفي أيّ حق لهم في هذا المال، مع علمهم بهذا، ففعلهم عن عمد وقد فعلوه وهم يعلمون بحرمته، وخبر إنَّ الجملة الاسميّة (فلهم النار)، مسبوقةً بالفاء لتضمُّنه معنى الشرط والجزاء، ومقدّمًا فيه الخبر الجار والمجرور (لهم) على المبتدأ (النَّار)، مع ما في التقديم والتأخير من إفادة القصر وتخصيص النار لهم وتأكيد ذلك، والمعقَّب عليه بتحديد زمن العقوبة (يوم القيامة) وهو اليوم الذي يوقن المسلمون بأنَّهم سيردون إليه للحساب والجزاء مهما طال أمَلهم في الدنيا واطمأنوا إلى إمهال الله لهم، وما في ذلك التعقيب من تذكير وتنبيه وتحذير وتخويف.

وتنكير "رجالاً" يتناسب مع منهج الرّسول الإبلاغي الذي يقوم على الستر وعدم التشهير بالمنذوب وفضحه، وقطع طريق التّوبة عليه، إضافة إلى التنبيه الذي قد يؤدي إلى الخوف والتراجع والتوبة، ففي التعريض والتلميح فرصة لهم، إضافة إلى أنّ من القواعد المشهورة في أصول الفقه أنّ العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، بمعنى أنّه إذا ورد الحكم الشرعي بصيغة عامة، وجب العمل بعمومه الذي دلّت عليه صيغته، ولا اعتبار لخصوص السبب الذي ورد الحكم بناء عليه، سواءً أكان السبب سؤالاً أم واقعة معينة (24)، كما هو الحال هنا، فالتوجيه والإبلاغ لكلّ من استرعاه الله على أموال النَّاس وللأمة كاملة، وربّما يمكن أيضًا ملاحظة أنّ في تنكير رجال تقيلاً وتحقيراً لهم، مع تعظيم فعلهم الذي بسببه تمّ تحقيرهم وإبهامهم وذلك بوصفهم بالفعل "يتخوضون"، والذي أجاز أيضًا دلالاته على العموم وشمول كل من يرتكب ذلك الفعل المحرّم بالعقاب الذي توعدهم الرسول به، إضافة إلى أنّه أفاد العموم والشمول لكلّ من يفعل ذلك في كلّ زمان ومكان وإلى يوم الدّين، فهو خطاب شامل للأمة ولكلّ من يقترف ذلك الدّنب، وترهيب وتخويف من ذلك الجرم، وقد وصفت هذه النّكرة ممّا سوغ الابتداء بها، وكذلك سبقت بأنّ المؤكّدة، التي من فوائدها تهيئة النّكرة وجعلها صالحة للابتداء بها (25)، فعضدّ مجيء المبتدأ نكرة أمران؛ الوصف الذي جعلها مفيدة ودالة على العموم، وسبقها بحرف التوكيد إنّ مكسورة الهمزة، وهذه اختيارات دقيقة جدًّا في هذا المقام الخطير الذي يُنجي فيه فهم اللغة والتأثر بما أوصلته من المعاني والمشاعر والانفعالات والعواطف و ما خاطبته منها والافتناع به وصولاً إلى تحقيق الهدف والقيام بالسلوك المنشود، وتشكّل اللغة فيه السلاح الرئيس ولاسيما وأنّ هذا العمل كثيرًا ما يكون في الخفاء ولا يعلمه إلا الله، فإذا لم يكن لهؤلاء المتخوضين وازع من ضمير ولم يحرك هذا الوعيد اللغوي الشديد فيهم انفعال الخوف من الله والفرع من النَّار؛ دافعًا إياهم إلى الإقلاع عن هذا الجرم، فما الذي سيحرّكه؟

المستوى المعجمي والدلالي:

ذكر ابن فارس أنّ الخاء والواو والضاد أصل واحد، يدلّ على توسُّط شيء ونُحُول، ومنه: خُضتُ الماءَ وغيره، وتخاوضوا في الحديث والأمر، أي تفاوضوا وتداخل كلامهم (26).

وجاء في لسان العرب أنّ خاض الماء يَخُوضه خَوْضًا وخِياضًا واختَاضَ اختِياضًا واختَاضَه وتَخَوَّضَه: مَثَى فِيهِ، وَأَنَّ أَصْلَ الْخَوْضِ الْمَشْيُ فِي الْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي التَّلْبِيسِ بِالْأَمْرِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ، فَالْخَوْضُ التَّلْبِيسُ فِي الْأَمْرِ، وَالْخَوْضُ مِنَ الْكَلَامِ: الْكَلَامُ الَّذِي يَحْوِي الْكُذْبَ وَالباطِلَ، وَقَدْ خَاضَ فِيهِ، وَمِنْهُ التَّصَرُّفُ فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا يَرْضَاهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالتَّخَوُّضُ: تَفَعُّلٌ مِنَ الْخَوْضِ، وَأُورِدَ صَاحِبُهُ عَدَدًا مِنَ الْأَقْوَالِ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ التَّخْلِيطُ فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ كَيْفَ أَمَكْنَ (27).

وجاء في شرح الكرمانى أنّ المقصود ببيتخوضون: يتصرفون في مال الله بغير قسمة حق (28)، وذكر ابن حجر في شرح الحديث أنّ المراد ببيتخوضون: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل، وأنّ في الحديث ردعًا للولادة أن يأخذوا من المال شيئاً بغير حقه أو يمنعه من أهله (29).

ولم يقف البحث على معنى الخوض في القرآن الكريم إلا سلبياً، حيث وردت في عشر آيات في القرآن الكريم كذلك، وقد ذكرها ابن عاشور عن الراغب، وأورد في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (30) أنّ حقيقة الخوض الدخول في الماء مشياً بالرجلين دون سباحة، ثم استعير للتصرف الذي فيه كلفة أو عنق، كما استعير التعسف وهو المشي في الرمل لذلك، وكذلك استعير الخوض أيضاً للكلام الذي فيه تكلف الكذب والباطل؛ لأن قائله يتكلف له، وفسر المعنى في قوله تعالى: ﴿يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يتكلمون فيها بالباطل والاستهزاء، وأورد قول الراغب: إنّ أكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يُدْمُ الشروع فيه، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَخُضْنُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ (31)، و﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (32)، وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (33)، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (34)، وقوله تعالى: ﴿فَدَرَّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ (35)، وقوله تعالى: ﴿فَدَرَّهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ (36)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ (37)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ تَمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (38)، وذكر صاحب التحرير والتنوير أنّه قد عبّر عن انتقالهم إلى حديث آخر بالخوض أيضاً؛ لأنهم لا يتحدثون إلا فيما لا جدوى له من أحوال الشرك وأمور الجاهلية (39)، وهذا يؤكد اقتصار ورود هذه الكلمة على المعنى السلبى فقط .

وذكر الرازي أنّ لفظ الخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه العبث واللعب، واستدلّ بقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾⁽⁴⁰⁾، وذكر عن المفسرين أن المراد من "الخوض" الشروع في آيات الله تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء⁽⁴¹⁾.

وذكر الشوكاني أنّ أصل الخوض في الماء، ثم استعمل في غمرات الأشياء التي هي جاهل تشبيهاً بغمرات الماء، فاستعير من المحسوس للمعقول، وذكر أنّه قيل إنّه مأخوذ من الخلط، ومنه خاض الماء بالعسل، أي: خلطه، وفسّر الآية بأنّ الله أمر رسوله إذا رأى الذين يخوضون في آيات الله بالتكذيب والرد والاستهزاء أن يدعمهم، ولا يقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم حتى يخوضوا في حديث غيره⁽⁴²⁾.

والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة وحكم بقية المسلمين كحكمه، كما قال سبحانه وتعالى في ذكر المنافقين في الآية السابقة الذكر من سورة النساء: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، وذكر العيني أنّ "يتخوضون" من "الخوض" وهو المشي في الماء وتحريكه، ثمّ استعمل في التصرف في الأمر والتلبس به، والنخوض تفعل منه، وأورد ما سبق إيراده عند الحديث عن معنى الكلمة في لسان العرب وهو أنّ التخوض في المال التخليط في تحصيله في غير وجهه كيف أمكن، وذكر أنّ باب النّفعل فيه التّكف (43).

وذكر ابنُ الجوزي أنّ المقصود بقوله ﷺ: "رجالاً يتخوضون في مال الله تعالى" أي: يتصرفون فيه ويتقحمون في استحلّاله⁽⁴⁴⁾.

وقد أسهمت الكلمات المفردة والمركّبة في الحديث، وهي: (الخوض، مال الله، بغير الحق، النار، يوم القيامة) إلى جانب جملة "يتخوضون"، في صبغ الحديث بطابع الترهيب، وذلك من خلال دلالاتها المركزية أو الأساسية أو المعجمية المتفق عليها بين أصحاب اللغة، ودلالاتها الهامشية أو الإيحائية التي تنيرها في أذهان السامعين حسب خبراتهم وتجاربهم وما قد يكون مرّ عليهم من تجاوزات وتعدييات وغيرها، وظهر من خلال السياق الذي جاءت فيه انفعال الغضب لدى الرسول ﷺ نتيجة الفعل المذكور، كما أسهمت في إثارة النفور والكره لهذا الفعل، إضافة إلى إثارة الخوف في نفوس السامعين وكلّ من تسوّّل له نفسه الخوض في مال الله بغير حقّ من أن يستحقّ وعيد الرسول ﷺ.

وهكذا ظهرت اللغة الوجدانية والانفعالية التأثيرية في كل المستويات، وتضافرت أشكالها في أداء المعنى على سبيل التبليغ والتمكين؛ فجاء الفعل الذي وصف عمل الرجال الذين توعددهم الرسول بالنار بصيغة المضارع التي أفادت الاستمرار في هذا الفعل المحرّم، وبصيغة النّفعل التي أضافت دلالة الاجتهاد والمبالغة في الفعل (التخوض) إلى المعنى، وجاء صفة لاسم إنّ "رجالاً"، حيث بدأ الحديث بالجملة الاسمية، في أسلوب

خبري مؤكّد بأنّ وكأنّه موجّه لمترددين في الحكم بحرمة ما يقترفونه، فأنزلهم منزلة المترددين أو المنكرين لأنّ حالهم واستمرارهم في هذا العمل لا يتناسب مع علمهم بحرمته، بل قد ينبئ عن عدم تيقنهم بالعقوبة أو شكهم فيها، فاحتاجوا إلى التأكيد الذي لم يقتصر على إنّ فقط وإنّما ساندته التأكيد بالقصر في الجزء الثاني من الحديث، مع ما يستفاد من الجملة الاسمية من ثبوت ومن التضعيف في تقوية للمعنى، وهذا الأسلوب وإن كان خبرياً إلا أنّه يحمل دلالة التحريم والنهي عن الفعل الذي وصف به اسم إنّ، ويخوّف من عاقبته، وفي الجملة الاسمية دلالة على ثبوت المسند للمسند إليه، أي ثبوت عقوبة النار يوم القيامة لهؤلاء الرجال الذين يتخوضون في مال الله بغير حق، وعبرة "بغير حق" زادت المعنى وضوحاً وتأكيداً وأكّدت دلالة الفعل "يتخوضون" السلبية على منكرٍ عظيم وفعل منهيّ عنه، ومع أنّ الفعل يوحي بالمعنى، إذ إنّ ظاهر من الفعل أنّ التخوض بغير حق، كما أنّ حرمة ظاهرة، ولاسيماً مع بيان جهة التخوض بإضافة المال إلى الله، لإثارة المهابة من الله عزّ وجلّ ولفت الانتباه إلى موطن الحرمة وتخويفهم من الفعل الذي فيه تعدّ على مال الله، إلا أنّ إضافة شبه الجملة "بغير حق" فيها تمكين للفكرة، وفيها زيادة تجريم وتشويه لفعلهم وتقدير وتأكيد لحرمة ومجانبتة الحق، فهي إطناب غرضه التقرير وتأكيد جرمهم والتنبيه إلى فداحته وعظمه المتناسب مع العقوبة التي سيتوعدّهم بها في الجزء الثاني من الحديث، وقد زاد التعقيب بها الجرم تهويلاً وزاد من يفعله تخويفاً وترهيباً، إضافة إلى الدلالة المركزية والهامشية لكلمات الحديث، ودور تلك الاختيارات اللغوية في الإبلاغ النبوي الشريف.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على النبي الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدِّين، وبعد:

فقد كان هذا البحث اجتهداً لإبراز بعض كنوز اللغة العربية ومحاسنها؛ من خلال تسليط الضوء على جانب مهم من جوانبها لم يأخذ حقه من الاهتمام والبحث؛ وهو الجانب الوجداني الذي يركِّز على ملامسة الأفكار للوجدان بعواطفه ومشاعره وانفعالاته، وامتزاجها به لتؤثر فيه تأثيراً ممتداً وناظراً إلى العقل، ومؤدياً إلى تمكين الأفكار وتحويلها إلى منجزات فعلية على أرض الواقع؛ وذلك من خلال أشكاله التعبيرية المتنوعة والكثيرة المستمدة من مصادر متنوّعة، والتي تندرج تحت مسمى اللغة الوجدانية، وقد سعى هذا البحث إلى إثبات اكتمال كيان هذه اللغة الوجدانية؛ باختبار مستويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية التركيبية والمعجمية والدلالية في أشكال التعبير الوجداني؛ وذلك من خلال التطبيق على حديث نبوي شريف كأنموذج لسائر الكلام العربي، وقد توصل هذا البحث إلى أنّ حضور اللغة الوجدانية بمستوياتها التعبيرية في الجانب الديني والتشريعي-وهو أكثر الجوانب حيادية- دليل على حضورها في سائر المجالات، وإلى أنّ حضورها في الحديث النبوي وهو القدوة في الفصاحة والبلاغة البشرية؛ دليل على حضورها في سائر الكلام العربي شعراً ونثراً، وإلى أنّ استعمال الرسول ﷺ أشكالاً من التعبير الوجداني في إبلاغ الرّسالة وأداء الأمانة التي كلفه بها الله سبحانه وتعالى؛ دليل على الدور المهم والخطير الذي يمكن أن تؤديه اللغة الوجدانية في جميع المجالات وعلى جميع الأصعدة الإنسانية؛ وبناء على ذلك؛ فالبحث يوصي بضرورة إجراء مزيد من الدراسات في الجانب الوجداني من اللغة العربية، واستثمارها فيما يخدم اللغة العربية ويرتقي بها، ويسلط الضوء على كنوزها وكيفية استثمارها في خدمة الإنسانية جميعها.

الحواشي والتعليقات:

- (1) محمود أبو المعاطي أحمد عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية)، (القاهرة: دار النشر للجامعات، 1432هـ-2011م)، 9.
- (2) استعمل البحث مصطلح "اللغة الوجدانية" ولم يستعمل المصطلح المتداول "اللغة الانفعالية"؛ لشمول الأول الثاني حسب ما جاء في علم النفس؛ حيث يشمل الوجدان الانفعالات، والحالة المزاجية، والعاطفية، والمشاعر: يُنظر: محمد محمود بني يونس، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ط 2، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 1429-2009، 231.
- (3) عبد الرحمن بو درع، نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، كتاب الأمة، العدد: 154، (ربيع الأول 1434هـ-يناير-فبراير 2013م) السنة الثالثة والثلاثون، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 98-101؛ نقلاً عن عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 263-274.
- (4) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط 7، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1418هـ-1998م)، 17/2 وما بعدها.
- (5) ناصر راضي الزهري إبراهيم، بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع دراسة في الصحيحين، (القاهرة: دار البصائر، 1429هـ-2008م)، 16.
- (6) يُنظر: محمود عباس العقاد، عبقرية محمد، د ط، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د ت)، 71-78.
- (7) يُنظر: المرجع السابق، 77-88، (استعرض الكاتب أمثلة للعلوم التي أشار إليها في الفقرة السابقة).
- (8) عيد بليغ، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص، (د م: بلنسية للنشر والتوزيع، 1429هـ-2008م)، 7 وما بعدها (المقدمة).
- (9) إبراهيم، مرجع سابق، 12-16.
- (10) المرجع السابق، 17 وما بعدها.
- (11) عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، (القاهرة: دار الثقافة للنشر، 1425هـ/2004م)، 34؛ عن كتاب: أيفور أرمسترونج ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، وسهير القلماوي، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005م)، 188.
- (12) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي القطب وهشام البخاري، (بيروت: المكتبة العصرية، 1433هـ-2012م)، كتاب فرض الخمس، باب: قول الله تعالى: ﴿قَالَ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، رقم الحديث: 3118، 2/959.
- (13) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، د ط، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م)، 207 وما بعدها.
- (14) أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط 2، (بيروت- لبنان: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1431هـ-2010م)، 411.
- (15) الرحمن: 66.
- (16) بشر، مرجع سابق، 209.

- 17) يُنظر: عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، 42 وما بعدها.
- 18) عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، (بيروت: دار اقرأ، 1404 هـ-1984 م)، 294.
- 19) أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق: محمد طعمة الحلبي، (بيروت-لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1418 هـ-1997 م)،
- 20) النجم: 3 و 4.
- 21) يُنظر: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبلاي، شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (دم، دار المأمون للتراث، 1402 هـ-1982 م)، 1/ 374-376.
- 22) يُنظر: عباس حسن، النحو الوافي، ط 5، (القاهرة: دار المعارف، دت)، 1/ 536 وما بعدها.
- 23) يُنظر: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط 2 (جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، 1401 هـ-1981 م)، 56.
- 24) عبد الوهاب خلّاف، علم أصول الفقه، ط 8، (القاهرة: دار القلم، دت)، 189.
- 25) نجاح محمد العزام، وأسماء المومني، وعفاف الدلقموني، الأسرار البلاغية والبيانية لحرف التوكيد "إن": دراسة تطبيقية في بعض أحاديث الصحيحين: "صحيح البخاري ومسلم"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية بالأردن، المجلد: 12، العدد: 3، (2015 م)، 481 وما بعدها.
- 26) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مراجعة وتعليق: أنس محمد الشامي، (القاهرة: دار الحديث، 1429 هـ-2008 م)، 274 (كتاب الخاء: خوض).
- 27) جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، ط3، (بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، 1413 هـ-1993 م)، 4/ 246 وما بعدها، باب (خوض).
- 28) محمد بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانى، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرمانى المسمى بالكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (بيروت: لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1401 هـ-1981 م)، 13/ 93.
- 29) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (القاهرة: الدار العالمية للنشر والتوزيع، 1434 هـ-2013 م)، 6/ 250.
- 30) الأنعام: 68.
- 31) التوبة: 69.
- 32) التوبة: 65.
- 33) المدثر: 45.
- 34) النساء: 140.
- 35) الزخرف: 83.
- 36) المعارج: 42.
- 37) الطور: 12.
- 38) الأنعام: 91.

- 39) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د ط، (تونس: دار التونسية للنشر، 1984م)، 7 / 289.
- 40) المدثر: 45.
- 41) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (لبنان- بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ-1981م)، 26 / 13.
- 42) محمد بن علي محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، (دم: دار المعرفة، 1423هـ-2004م)، 427/1.
- 43) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، (بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1421هـ-2001م)، 56 / 15.
- 44) أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (الرياض: دار الوطن للنشر، 1418هـ-1979م)، 4 / 485 (كشف المشكل من مسند خولة بنت ثامر الأنصارية).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الحديث الشريف.

إبراهيم، ناصر راضي الزهري (1429هـ -2008م) بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع دراسة في الصحيحين، القاهرة: دار البصائر.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1433هـ -2012م) صحيح البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي القطب وهشام البخاري، صيدا: المكتبة العصرية.

بشر، كمال (1998م) دراسات في علم اللغة، د ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

بلع، عيد (1429هـ -2008م) مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص، د م: بلنسية للنشر والتوزيع.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1418هـ -1998م) البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (1431هـ - 2010م) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط 2، بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي (1418هـ - 1979م) كشف المشكل من حديث الصحيجين، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض: دار الوطن للنشر.

الجيلاني، جمال الدين أبو عبد الله (1402هـ - 1982م) شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، د م: دار المأمون للتراث.

حسن، عباس (د ت) النحو الوافي، ط 5، القاهرة: دار المعارف.

خلّاف، عبد الوهاب (د ت) علم أصول الفقه، ط 8، القاهرة: دار القلم.

بو درع، عبد الرحمن (1434هـ - 2013م) نحو قراءة نصية في بلاغة القرآن والحديث، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الرازي، فخر الدين محمد (1401هـ - 1981م) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (1401هـ - 1981م) معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

ريتشاردز، أيفور أرمسترونج (2005م) مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، وسهير القلماوي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (1429هـ - 2008م) مقاييس اللغة، مراجعة وتعليق: أنس محمد الشامي، القاهرة: دار الحديث.

السيد، عز الدين علي (1404هـ - 1984م) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، بيروت: دار اقرأ.

الشوكاني، محمد بن علي محمد (1423هـ - 2004م) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، د م: دار المعرفة.

ابن عاشور، محمد الطاهر (1984م) تفسير التحرير والتنوير، د ط، تونس: الدار التونسية للنشر.

العزام، نجاح محمد والمومني، أسماء والدلقموني، عفاف (2015 م) الأسرار البلاغية والبيانية لحرف التوكيد "إن": دراسة تطبيقية في بعض أحاديث الصحيحين: "صحيح البخاري ومسلم"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد 12، العدد 3: 481، 482، 509.

العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر (1434 هـ - 2013 م) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، القاهرة: دار العالمية للنشر والتوزيع.

العقاد، عباس محمود (د ت) عبقريّة محمد، د ط، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

عكاشة، محمود أبو المعاطي أحمد (1432 هـ - 2011 م) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية)، القاهرة: دار النشر للجامعات.

العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (1421 هـ - 2001 م) عمدة القارئ، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1418 هـ - 1997 م) أدب الكاتب، تحقيق: محمد طعمة الحلبي، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

الكرماني، محمد بن علي بن سعيد شمس الدين (1401 هـ - 1981 م) صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، ط 2، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل (1413 هـ - 1993 م) لسان العرب، نستقه وعلق عليه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي.

هنداوي، عبد الحميد (1425 هـ / 2004 م) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، القاهرة: دار الثقافة للنشر.

بني يونس، محمد محمود (1429 هـ - 2009 م) سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، ط 2، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.